مقياس: النقد الأدبي المعاصر

السنة الثانية: دراسات نقدية

المحاضرة الخامسة: النقد الجديد

شهد النقد والدراسات الأدبية في أوائل القرن العشرين تحولا في الانتقال بالنصوص الأدبية من المقاربات السياقية إلى المقاربات النسقية، وهذا ما أدى إلى تأسيس نقد يسعى إلى توطيد العلاقة بين المؤلف والقارئ من خلال النتاج الأدبي، وذلك بعيدا عن دراسات التأثير والتأثر لأنها تبعدنا عن فهم جوهر تلك النصوص.

1- النقد الجديد: النشأة والمفهوم

النقد الجديد (New Criticisme) تسمية أطلقت على الحركة النقدية التي ظهرت في أعقاب المنهج الشكلاني، متخذة من الجامعات الأمريكية وجامعات الجنوب الأمريكي تحديدا مركزا لها.

ومنذ عام 1920م تركزت الأضواء على مجموعة من النقاد أسهموا في نهضة النقد الأدبي من أبرزهم ريتشاردز، وإليوت، وجون كرور أنسوم، ووليام إمسون، وكلينت بروكس، وريورت بن وارن وأيفور وينترز، وديفيد ديتش وغيرهم.

وصحيح أن هؤلاء النقاد يمثلون اتجاهات مختلفة في النقد، إلا أن كل واحد منهم أضاف شيئا جديدا إلى طريقة فهم الأثر الفني، وإدراك الجمال فيه في شكله ومضمونه، أما عن مصطلح (النقد الجديد) فقد استعمله جول سبنجارن (Joel Spingarn) في عام 1911م في كتابه المعنون بـ"The New Criticisme" ثم استعمل جون كرو رانسوم (J .C.Rensom) العنوان نفسه عنوانا لكتابه الذي يتكون من أربع مقالات نقدية، وكأنه بكتابه هذا يعلن رسميا عن تكون هذه الحركة النقدية الجديدة.

وذهب محمد عزام إلى ذلك حين رأى أن "النقد الجديد مصطلح أطلقه الناقد سبنجارن على أعمال النقاد: إليوت، وآلان تيت، وكلينث بروكس، وجون كرو رانسوم، وليفز، وغيرهم ممن اختلف نقدهم عن النقد النفسي والاجتماعي، وهذا المنهج النقدي الجديد الذي ظهر في كل من أوروبا وأمريكا بعد الحرب العالمية الأولى يدير ظهره للمناهج النقدية النفسية والاجتماعية؛ ويرى أصحابه أن النقد النفسي ينتقل إلى تحليلات سيكولوجية مرضية بعيدة عن العمل الفني، وكذلك يفعل النقد الاجتماعي حين يعالج ظواهر وقضايا اجتماعية وتاريخية بدلا من أن يصب اهتمامه على النص الأدبي وحده".

لكن تسمية (النقد الجديد) قد شاعت بعد صدور كتاب رانسوم سنة 1941م، وارتبطت منذ ذلك التاريخ بنزعة في النقد الأدبي ظهرت بالولايات المتحدة مع منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، ودعا رانسوم النقاد إلى الاهتمام بموضوع نقدهم، والتركيز على المعنى النصي للعمل الأدبي، بدلا من الاتجاه إلى تفسيره على ضوء الظروف الخارجية التي أحاطت به، أو العوامل التي قد تكون أثرت في إنتاجه.

وهذا الاتجاه في حقيقته هو امتداد وتطور للاتجاه الجمالي الذي عرفته أوروبا في القرن التاسع عشر، حسب ما ذهب إليه رينيه ويليك؛ إذ رأى أن كولريدج وكروتشيه والرمزية الفرنسية تعد من السوابق المباشرة للحركة الإنجليزية الأمريكية الجديدة التي تسمى (النقد الجديد)، ومن ثم يمكن العودة بهذه الحركة الجديدة إلى الفلسفة المثالية كما طورها الفيلسوفان الألمانيان 'كانط' و'هيغل'، وغيرهما من المفكرين الذين نظروا لهذه الفلسفة في العصور الحديثة، وعرضوا النظريات الجمالية للنقاش، مبينين وظيفة الجمال الفنية؛ إذ كان لآرائهم وأفكارهم أثر كبير في نشأة بعض المذاهب الأدبية والنقدية كالرمزية ومذهب الفن للفن وغيرهما، وهي المذاهب التي يغلب عليها الاهتمام بالقيمة الفنية في العمل الأدبي، دون مراعاة الواقع والمضمون الفكري وغايته الاجتماعية.

ومنه يمكن القول إن النقد الجديد هو نقد تحليلي يقوم على التركيز المطلق على العمل الأدبي بعيدا عن الاعتبارات الأخرى؛ كحياة الأديب وبيئته وخلفيته الاجتماعية، فالعمل الأدبي عند نقاد هذه المدرسة هو خلق شيء جديد مستقل له قوانينه الخاصة به، ومن ثم فإن مهمة

الناقد من النقاد الجدد ليست في أن يكشف عما يعبر عنه العمل الفني بل أن يرى العمل في ذاته ولذاته، فلا يقيمه بمقاييس خارجة عنه.

2- الأعلام الرواد:

أشرنا فيما سبق إلى أن مدرسة النقد الجديد قد ضمت عددا كبيرا من النقاد والأدباء والشعراء ذكرنا بعضا منهم، وسنقف من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر عند: رانسوم، وآلان تيت.

أ- جون كرو رانسوم: (John Crowe Ransom)

شاعر وناقد وباحث أمريكي (1888- 1974م)، يعد مروج مدرسة النقد الجديد من خلال كتابه (النقد الجديد) الذي صدر سنة 1941م، وهو أكبر روادها سنا، وأميلهم إلى التفكير الفلسفي، يطلق عليه (أرسطو الجديد)، سعى رانسوم في آرائه النقدية إلى التوفيق بين النقد الأدبي وعلم الجمال؛ إذ يرى أن ثمة فجوة تفصل عادة بين الناقد وعلم الجمال، ووظيفة النقد ينبغي أن تتجاوز معرفة الأدوات التقنية للأدب، وعلى الناقد الجيد مراجعة الأصول الجمالية.

وبهذا يرفض رانسوم التفسير النفسي للأدب، كما يرفض الأحكام الأخلاقية، ويؤمن بمنهج نقدي واحد؛ هو المنهج الجمالي الذي يضيء العمل الأدبي من الداخل.

ب-آلان تيت: (Alan Tate)

الناقد الثاني في مدرسة النقد الجديد بالولايات المتحدة هو آلان تيت (1899- 1979م)، وهو تلميذ لرانسوم.

يرى تيت في مقالته (وظيفة النقد في الوقت الحاضر) أن النزعة التاريخية والنزعة السيكولوجية والنزعة البيولوجية تعبر عن فوضى روحية، وأن وظيفة النقد ينبغي أن تكون المعرفة الخاصة الكاملة التي تزودنا بها أشكال الفن العظيمة، ومسؤولية الكاتب النقدية هي خلق وتطبيق للمقاييس الأدبية، ومهمته أن يحفظ للغة صفاءها وصدقها، وليس معنى هذا أن الأديب ليس مسؤولا أمام مجتمعه، ولكنه مسؤول أمام ضميره وليس أمام أية سلطة أخرى سياسية أو دينية أو دنيوية.

3- خصائص النقد الجديد:

لقد اجتمعت آراء النقاد الجدد على رفض تدخل العلوم الإنسانية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية في دراسة الأدب؛ ذلك أن هذه العلوم تهتم بما يقوله العمل الأدبي وهم يريدون الاهتمام بالطريقة التي يقول فيها العمل الأدبي نفسه، أي بالشكل والأسلوب، أما المعنى أو المحتوى فهو عندهم غير محدد، فقد أضفى النقد الجديد فضل التنبيه إلى المتعة الفنية والنفاذ إلى جمال العمل الأدبي.

وبذلك تركزت خصائصه في:

- التركيز المطلق على العمل الأدبي بعيدا عن الاعتبارات الأخرى كحياة الأديب وبيئته وخلفيته.

- يؤمن النقاد الجدد بتعدد مستويات المعنى، فليس ثمة قصد يرمي إليه الشاعر أو الكاتب يمكن أن يفرض على القارئ، وأن يعد مرجعا للصواب تقاس به تأويلات الناقد.

- ليس الهدف من القراءة النقدية استخراج المحتوى أو الكشف عن المعنى، وإنما الغاية التي يسعى إليها الناقد هي الكشف عما في النص من آليات تؤدي إلى ما يحققه المبدع من بنية فنية.

- السياق الداخلي للنص الأدبي هو السياق الذي يعنى به النقد الجديد، وفي ضوء ذلك يجري تفكيك الرموز والكشف عنها وعن دلالاتها، ودراسة العلاقة بينهما وبين محتوى القصيدة مما يسبب للقارئ متعة في اكتشاف قدرته على إنتاج الدلالة الأدبية للنص.

- يؤمن النقاد الجدد بعدم التمركز حول ذات المبدع (الشاعر)؛ فهم يشيرون إلى شخصية المتكلم عوضا عن الشاعر في القصيدة.

هكذا كان هاجس النقاد الجدد هو التركيز على كيف ينقل الأدب معناه وليس الذي عناه.

4- أثر النقد الجديد في النقد العربي:

تأثر بعض النقاد العرب بهذه المدرسة وبمبادئها النقدية، فتبنوها ودافعوا عنها، وأبرزهم: رشاد رشدي، وزكي نجيب محمود، ومصطفى ناصف، ولطفي عبد البديع، وعبد العزيز الدسوقي، وجبرا إبراهيم جبرا، وإحسان عباس، ويوسف الخال، وغالي شكري... وغيرهم، ويعد 'رشاد رشدي' أكثر هؤلاء تأثرا في المجال النقدي، إذ ارتبط اسمه بإليوت وذلك من خلال كتابه (ما هو الأدب؟) الذي يعكس أسس هذه المدرسة في فهم الأدب ونقده، ومن النقاد العرب الذين دعوا إلى الاهتمام والتركيز على بنية النص الإبداعي محمود السمرة ومحمود الربيعي الذي درس نظرية إليوت في النقد، وطبيعة الإبداع الشعري، وقد طالب الربيعي بالتركيز على القصيدة نفسها، ودراستها دراسة موضوعية.

بقي أن نشير إلى أن ما يؤخذ على النقد الجديد إهماله التام للسياق التاريخي، والعوامل المؤثرة في العمل الإبداعي وعدم عنايته بالمؤلف، إضافة إلى إخفاقه في تعميم أفكاره على أنواع أدبية مغايرة للشعر كالرواية والمسرحية والقصة، وأخطر ما وجه للنقد الجديد أنه نقد انتقائي؛ بمعنى أن الناقد لا يأخذ من الأعمال الأدبية إلا ما يوافق تطبيق أفكاره.